

المقاومة وتجديد الفكر وإعادة بناء لبنان : الجامعة في مواجهة الأزمة

لمناسبة عيد شفيع جامعة القديس يوسف في بيروت
يوم السبت الواقع فيه
١٩ آذار (مارس) ٢٠٢٢

في مدّرج جان دوكرية اليسوعي
حرم العلوم والتكنولوجيا
مار روكز

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعي
رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت

المقاومة وتجديد الفكر وإعادة بناء لبنان : الجامعة في مواجهة الأزمة

لمناسبة عيد شفيح جامعة القديس يوسف في بيروت
يوم السبت الواقع فيه ١٩ آذار (مارس) ٢٠٢٢

في مدرّج جان دوكرية اليسوعي
حرم العلوم والتكنولوجيا - مار روكز

معالي الوزير عبّاس الحلبي، وزير التربية والتعليم العالي،
سيادة المطران وسعادة السفير البابويّ المونسنيور جوزيف سبيتيري **Joseph Spiteri**،
حضرة الأب ميخائيل زَمِيط، الرئيس الإقليميّ للرهبنة اليسوعيّة في الشرق الأدنى والمغرب،
حضرة السيّد رئيس المجلس الأعلى لجامعة القُدّيس يوسف وأعضاء المجلس،
حضرات السادة والسيّدات نواب رئيس الجامعة، والعمداء، والمديرين،
حضرات السادة والسيّدات أعضاء المجلس الاستراتيجيّ،
حضرة السيّد إميليو بيريز **Emilio Piriz**، مدير التعاون بين أوروبا وحوض البحر
الأبيض المتوسط في مقاطعة «الألب» في ساحل **Côte d'Azur**
حضرة الدكتور كريستيان مكاري، رئيس إتحاد رابطات قدامى خريجي طلاب جامعة
القُدّيس يوسف في بيروت، حضرات رؤساء وأعضاء الرابطات،
حضرات السادة والسيّدات المعلّمين، والإداريّين والطلّاب،
أصدقاءنا الأعزّاء،

في هذا اليوم من التاسع عشر من آذار (مارس)، في عيد القُدّيس يوسف شفيح جامعتنا،
نتّجه نحو شخصيّة القُدّيس يوسف الذي كرّس له قداسة البابا فرنسيس العام ٢٠٢١ وقد
انتهى في الثامن من كانون الأوّل (ديسمبر) الماضي. في إحدى تعاليمه الأخيرة عن هذا
القُدّيس المفضّل، يُشير البابا إلى أنّ يوسف يمكنه أن يكون «دعمًا وتعزية ومرشدًا»، مشيرًا
أيضًا إلى أنّ اسم يوسف باللغة العبريّة يعني «الله وجود ويفيض»، «الله يُنمّي»، موضحًا
أنّ هذا المعنى يكشف عن جانب أساسيّ في شخصيّة «يوسف الناصريّ»، أي أنّه «رجل

ممتلئ بالإيمان بالله وبعنايته»، وأعماله «يُملئها اليقين بأنَّ الله ينمي، ويجود بفيض» المحنة تلو المحنة وكذلك النعمة تلو النعمة¹.

«لا تنظروا كثيراً إلى الأمور التي يبجلها العالم، انظروا إلى الزوايا، انظروا إلى الظلال وما يُحيط بكم، إلى ما لا يبغيه العالم»، هذا ما يعلمنا إيَّاه يوسف اليوم، كما يقول البابا فرنسيس. إنطلاقاً من هذا المعنى، «إنَّه حقاً معلّم، يعلمنا ما هو جوهريّ وأساسيّ»، إنَّه معلّم اكتشاف «ما له قيمة». فلنطلب شفاعته حتّى تجد الكنيسة كلّها تلك البصيرة، تلك القدرة على التمييز وتلك القدرة على تقييم ما هو أساسيّ.

إنَّه مرشد لأنَّه اتَّخذ أفضل طريق، إنَّه الشخص الذي يأخذنا بيدنا ويقول لنا : «تشجّعوا، هناك دائماً طريق أفضل». بالنسبة إلينا اليوم، هو يدلُّنا على طريق المقاومة، وتجديد الفكر وإعادة البناء، إنَّه يرينا ما هو أساسيّ. نحن مطالبون، بحكم مكانتنا ودورنا، كجامعة في لبنان الأمس واليوم، أن نقاوم ونجدد الروح ونُعيد البناء حتّى تتخطى الجامعة الأزمة! لكي يأتي إلى العالم، إختار يسوع المسيح، كلمة الله، طريق الروابط الاجتماعية، طريق التاريخ : لم ينزل إلى العالم بطريقة سحرية، لا. لقد اتَّبَعَ المسار التاريخي الذي نتَّبِعُه جميعاً. بالنسبة إلى قداسة البابا، كان يوسف من أوائل المقاومين عندما قال «لا» للطاغية، بقوة صمته، وقرّر أن يهرب بالطفل إلى مصر، من الطاغية المهيمن في تلك الحقبة وكان اسمه هيروودس المتعطش للدماء. هذا يعني أن نقول لا بقوة الكلام، حتّى لو كان هناك ثمن يجب دفعه. إنَّه التأكيد على أنَّ مقاومتنا اللبنانية هي رفض من يقطع الروابط الاجتماعية بيننا كلبنانيين، وما يمكن أن يقطع هذه الروابط.

١. المقاومة من أجل استعادة الأمل !

المقاومة بالكلمة والقلم، وبالقلب والعقل هي حقُّنا وواجبنا لأنَّنا، منذ سنوات، نرفع الصوت في هذه الجامعة وعلى مستوى فكريّ لبنانيّ رفيع من أجل أن يكون هذا البلد أفضل ومحكوماً بطريقة جيّدة من أجل صالح الجميع وليس من أجل بعض المرتهنيين الذين نُصِّبوا في مواجهة المواطنين! من آثار هذه الأزمة التي أفرغت الدولة هي أنَّه من الصعب للغاية على الطبقة السياسية إيجاد مرتهنيين جدد، في وقت بدأ بعضهم بالانفصال. قد تسبَّب أيُّ أزمة تمزّقات حتّى انهيار النظام الاجتماعيّ والإنسانيّ الذي شكّلته طاقة

¹ 17 novembre, Audience générale du pape François, *catéchèse sur Saint-Joseph*, La Croix 17/11/2021.

من الأجيال. إن كنا قد أعلنّا المقاومة فهذا ليس فقط بسبب وجود أزمة عميقة تهدّد بتدمير هذا النظام الاجتماعيّ، وفي هذه الحالة، نظامنا التعليميّ، بل لأنّ الأمر يتعلّق بالأحرى بخطرٍ يهدّد بزعزعة استقرار تعليمنا العالي التاريخيّ وقيم الاستقامة، والنزاهة الفكرية، والمساواة في الأخوة، والحرية التي لا تخلو من المسؤولية، والتي تسعى هذا التعليم دائماً إلى تغذيتها وتجديرها في القلوب كما في العقول. فحالنا هو حال الإنسان المتمرّد *l'Homme révolté* لألبير كامو Albert Camus، حيث تبدأ المقاومة بالمواجهة القويّة، طريقة لتأكيد هويّة المرء من خلال التمرّق². المقاومة الحقيقيّة هي التي تقوم على التطوُّع الملّتزم، في تأكيد القيم التي نعتبرها أساسيّة. هذا التطوُّع المدعوم بالالتزام المقاوم الذي لا يخلو من المجازفات الشخصية. إنّ مقاومة ما هو غير مقبول تعني وضع حياة المرء على المحكّ، سواء كان ذلك في لاوعي الشباب أو في مرحلة من المراهقة توشك على الانتهاء.

أمام هذا الواقع، نوّكد مجدّداً أنّ مقاومة الهجمات التي تبغي قتل هذه الثقافة هو حقّنا لا بل واجبنا. لكنّي أودّ أن أقول أيضاً، مع مفكّر القرن إدغار مورين Edgard Morin، معلّقاً على التزامه بالمقاومة: «المقاومة الحقيقيّة هي مقاومة كلّ ما من شأنه أن يخون أفكارنا»³. إنّها المحافظة على استقامة روحنا وإخلاصنا لما نؤمن به. إنّها مقاومة كلّ ما من شأنه أن يخون تطلّعاتنا وأفكارنا. إنّها مقاومة التيارات السائدة وهي اليوم تتمثّل بالاندفاع نحو النفعية وعودة أشكال البربريّة المتوارثة من الأسلاف، كما رأينا في حروب قريبة جدّاً ممّا أو بعيدة عنّا. صحيح أنّ مقاومتنا ليست مقاومة واحدة، بل لها وجوه متعدّدة. كلّ لبنانيّ يستطيع المقاومة على طريقته وكذلك كلّ لبنانيّة، فمقاومة هؤلاء الجلّادين الذين لا يمكن أن يردّعهم رادع، هؤلاء الجلّادين الذين لا حدود لهم إلاّ الجحيم وليس السماء. بالنسبة إلينا في هذه الجامعة، ومن منطلق الولاء لمن سبقونا ولرسالة تنشئة المهارات للمستقبل، حقّقنا المستحيل من أجل الاستمرار على الرغم من انهيار إمكانيّاتنا الماليّة والماديّة، وبروح متحمّسة فرديّة، وجماعيّة، وتحدينا جميع القيود والاضطرابات الناجمة عن وباء جائحة الكورونا. لقد قرّرت الجامعة وما زالت تقرّر كلّ يوم ضمان المقاومة الفكرية في تنشئة شبابنا كواجب يحركه الولاء. من هنا، كيف لنا ألاّ نحیی التضحيات التي قدّمها معلّمونا، والمسؤولون، والإداريون في جامعتنا الذين بذلوا

² Cf. Albert Camus, *l'Homme révolté*, Editions Gallimard, 1951.

³ <https://www.leparisien.fr/societe/edgar-morin-le-courage-c-est-resister-a-tout-ce-qui-va-trahir-nos-idees-18-10-2019-8175330.php>

وما زالوا يبذلون من طاقتهم الخفية من أجل الحفاظ على مسار تشغيل تلك الآلة الضخمة ذات الحمل الثقيل والمهمة التي نستمر في إنجازها!

المقاومة من خلال الاستمرار في رفع الصوت عاليًا حتى نعرف كيف خرجت لا تزال مليارات العملات تخرج من البلاد. المقاومة حتى يسترجع المودعون بسرعة المبالغ المصادرة من المصارف وتلك التي قامت الحكومات بتبديدها قبل الأزمة وهي مخصصة للتعليم، لأن مستوى التعليم هو الذي سيدفع الثمن إن لم يتم إعطاء جواب مناسب في الوقت المحدد. مع ذلك نحن لا نريد، تحت أي ظرف من الظروف، أن نصبح رهائن لأي شخص طلبًا للمساعدة.

المقاومة تكون بالمطالبة بقول الحقيقة حول الانفجار المزدوج في مرفأ بيروت، من أجل معرفة أسماء المسؤولين والدول المتورطة، حتى لو كانت مهمة شبه مستحيلة، لكي يتسنى لأهالي الضحايا أن يقوموا بحدادهم ولكي تتحقق العدالة، حتى يتسنى للشعب اللبناني أن يشفى من هذه الصدمة الهائلة.

المقاومة تتم وقد تمت عن طريق توطيد الرابط الاجتماعي، كي نشعر بأننا متحدون في الألم، وكذلك الأمر في كل عمل اجتماعي يقوم به المعلمون والإداريون وخاصةً طلابنا، من أجل التخفيف من معاناة بعضهم البعض. إن منصاتنا، مثل «عملية اليوم السابع»، و«جامعة القديس يوسف في مهمة»، ودائرة المساعدة النفسية SAP ودائرة الحياة الطلابية، بالإضافة إلى المبادرات في المؤسسات، أظهرت إلى أي درجة عالية يمكن تعزيز الرابط الاجتماعي بين اللبنانيين، وإلى أي مدى يمكن للتضامن الطوعي والعمل التطوعي غير السياسي المقدم إلى آلاف الأشخاص أن يكونا مثمرين، وإلى أي درجة يعطي العمل الاجتماعي طاقة روحية تغذي العاملين فيها. لقد وقع اختيار الوكالة الدولية لتصنيف الجامعات بشأن التأثير المجتمعي للجامعات (تصنيف ال«تايمز» للتعليم العالي») Times Higher Education على جامعة القديس يوسف للعام ٢٠٢١ كأفضل مكان عمل في آسيا (أفضل مكان عمل في العام ٢٠٢١)، في صميم أزمة جائحة «كورونا والأزمة

^٤ بلاغ من الوكالة الدولية لتصنيف الجامعات بشأن التأثير المجتمعي للجامعات («تايمز للتعليم العالي») Times Higher Education، آسيا ٢٠٢١: حصلت جامعة القديس يوسف في بيروت ومقرها لبنان على جائزة أفضل مكان عمل للعام لمبادراتها التي استجابت لأزميتين: الوباء والانفجار الكارثي في مرفأ بيروت في شهر آب (أغسطس) ٢٠٢٠.

الاقتصادية، وذلك بفضل «الجامعة في مهمّة» وعملية Rise to Bloom، وهذا الاختيار يبيّن أنّ مقاومتنا الاجتماعية والروحية لم تكن كلمة فارغة، بل عملاً تمّ تنفيذه في الحياة اليومية الملموسة ! أن تقوم وكالة Clicks Jazairi Awards بتصنيف «عملية اليوم السابع» في جامعتنا ضمن أفضل ثلاث جامعات في العالم، من أجل عملها المدنيّ خارج حدود بيروت، هو علامة على أنّ مقاومتنا لم تذهب سُدىً وأنّ هدفنا هو تعزيز الروابط الاجتماعية، والأسرية والروابط الثقافية، وعلاقات الصداقة، والروابط المهنية من دون إغفال تعزيز قدرات كلّ فرد لبنانيّ لأنّ فخر لبنان هو الفرد الكفوء بقدراته الفكرية ولا سيّما تلك التي تتعلّق بالمواطنة. بالتالي، تصبح المقاومة واجباً يحتمّ على المواطن واجب المشاركة في الانتخابات التشريعية، ونداءً ملحاً، إلى الأقدم بيننا وإلى الأكثر شباباً، للتعبير، من خلال تصويتهم في الانتخابات التشريعية، عن رفضهم وضع يد المافيا على سلطات الدولة. هل تعلمون أنّ أصواتنا هي بالفعل أسلحتنا وأنها أقوى وأمضى بكثير من أي سلاح آخر؟

دعونا نقاوم اليوم وغداً في مواجهة نزوح أفضل أدمغتنا، هؤلاء الاثنين والخمسون بالمئة من عائلتنا المصمّمة على إفراغ لبنان من أدمغته، لهذا النزيف المتمثّل في فقدان جذورنا وأنفسنا من خلال الآلاف من الشباب والبالغين هؤلاء الذين يغادرون كلّ يوم لانعدام الثقة بالنظام القائم. فلنقاوم من خلال إنشاء شبكات إقتصادية وتصميمها كي تُبقينا هنا، من خلال تنشيط العمل مع الخارج، أو ابتكار شركات تجعلنا نفتتح على العالم.

أخيراً، دعونا نقبّس كلمات الشاعر رينيه شار René Char : «ليست المقاومة إلاّ الرجاء» لأنّها تنطوي على فعل إيمان بالذات وبالآخر، قريبنا في الله، وهي تنطوي أيضاً على فعل محبة لمدى الحياة وكلّ هذا يعطينا الوعد بكسب الرهان والنجاح. هذه هي مقاومتنا الثقافية والإنسانية والروحية.

وفي النهاية، المقاومة هي الحفاظ على نزاهة روح المرء وولائه لما يؤمن به، لما يدعوه الناس قيمهم. إنّها مقاومة كلّ ما من شأنه أن يخون تطلّعاتنا وأفكارنا. كما أنّها تعاطف مع المضطّهدين والمُهانين، سواء كانوا فلسطينيّين أو مهجّرين، من دون السعي إلى الاستمرار في تسييس حضورهم بيننا وهو حضور لم يختاروه أو يريدوه.

⁵ L'Orient-le-Jour du 14 février 2022, p. 4.

⁶ René Char, *Feuillets d'Hypnos*, il s'agit d'un recueil poétique de 237 fragments écrits par l'auteur pendant la Résistance entre 1943 et 1944.

أخيراً، المقاومة تعني التشبُّث بالحياة وحبّ البقاء ! تعني الاستمرار في جعل الجامعة تعمل بنسبة ١٠ إلى ١٥ في المائة من إمكانياتها العادية في أفضل تقدير، وتعني في الوقت نفسه بناء خطة التعافي مع مجتمع المسؤولين ومجالسنا، فتراعي استمرار الصعوبات والجمود في الخروج من الأزمة، ولكن بفعل وجود فرص التوسُّع في الخدمات التي لا يجب تجاهلها ؛ إنَّها إحياء قيم الشجاعة، والفكر النقدي، والتبصُّر، والاهتمام بالآخرين، والتضامن مع الأشخاص الأكثر هشاشة ؛ لا يمكن للمرء أن يبقى ويعيش بمفرده، بل يعيش محاطاً بالوعي الجماعي الذي تشكِّله جماعة من الأشخاص الأحرار والمسؤولين.

٢. إعادة التفكير : ما هي القضية التي يجب أن نحارب من أجلها اليوم ؟
الأوقات الحالية تميَّز بالإصرار على التفكير وإعادة التفكير في نظامنا السياسي كما أوصت بذلك إحدى الشخصيات السينمائية الشهيرة، فنسنت ليندون Vincent Lindon الذي علّق على أحد أفلامه وصاغ بشكلٍ جيّد ضرورة إعادة التفكير كردّ فعل على تصرّفات السياسيين : «يتوجّب على السياسيين استلھام حكمهم بأن يغلب تفكيرهم على ردّات فعلهم». إنَّ إعادة التفكير في الميثاق الاجتماعي، وصيغة العيش المشترك من أجل تجذيرهما، هو فعل يتطلّب الشجاعة في وقت توجّه فيه الإدانات المتسرّعة والازدراء للثورة اللبنانية التي اندلعت في العام ٢٠١٩ بأنّها كانت مسيرة من الخارج أو أنّها كانت مظهرًا من مظاهر مجموعات تابعة لمنظّمات غير حكوميّة متعطّشة للمال وليست أحزابًا منظمّة. فلنكن جادّين إلى حدّ ما ونعود إلى أساسيات ما التمسّه الشعب في مسيرته السلميّة. كان المطلب الأساسي لثورة ١٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ولا يزال هو التالي: نظام مواطنة شاملة يأخذ بالاعتبار اللامركزيّة، أي الاحترام الواجب على المناطق اللبنانية، وقانون إنتخابي يأخذ بالاعتبار هذا الواقع،

ثانيًا، نهاية التلاعب بمذاهبنا الدينيّة النبيلة من أجل تحقيق غايات سياسيّة وطائفية، أي توقّف المذهبيّة،

ثالثًا، وضع حدّ لولاء اللبنانيين للسياسيين، ذلك الولاء الأعمى الذي يجعلهم مرتّنين، وإبادة الزبائنية وتحرير الإدارة العامّة من وصايتهم كما فعلت الأوطان التي تحترم نفسها، لأنّ الدول الأكثر فسادًا هي الدول التي يُملّي فيها السياسيون إرادتهم على الإدارة ويعيّنون قادتها.

رابعًا، توقّف الولاءات إلى الخارج، مهما كان، وإعلان هذا الولاء على أنّه خيانة كبرى.

خامساً، فساد أقلّ والمزيد من العدالة السياسيّة والتوزيعيّة لكلّ اللبنانيين، والوصول إلى العناية الصحيّة والتربية ذات الجودة، ممّا يعني إستقلاليّة حقيقيّة للقضاء ونظام تفتيش لكلّ أجهزة الدولة عن طريق المحاسبة الحقيقيّة ابتداءً من أعلى الهرم وصولاً إلى أسفله. كلّ مجهود من أجل إعادة التفكير بنظامنا السياسيّ خارج هذه الأساسيات لن يعطي أيّ جديد وسيغرقنا أكثر فأكثر في الأزمة.

نذكر أنّ جامعتنا ليست فقط معهداً للتعليم العالي الأكاديميّ الذي أثر في تاريخ لبنان والمنطقة وله تقليد طويل من التنشئة من أجل تميّز الوطن. قريباً، في غضون سنوات قليلة، سنحتفل بمرور ١٥٠ عاماً على وجودنا وسنحتفل بكلّ فخر واعتزاز لأننا، منذ نشأتنا، تمكّنا من الحفاظ على مكانتنا وتطويرها كموقع متميّز. يحمل جميع قدامى طلابنا في لبنان وحول العالم وسوف يحملون اسم «الأمّ المريّة» *Alma Mater* الجامعة اليسوعيّة، في هذه الفترة من التاريخ. وبالرغم من كلّ الصعوبات، كانت جامعة القديس يوسف وما زالت وستظلّ مركزاً للتميّز والتفكير في خدمة الإنسان. قبل كلّ شيء، نحن جامعة، وهذا يعني أنّنا نشكّل في مكانٍ معيّن مجتمعاً يلتزم باحترام، على الرغم من التعدديّة البشريّة، بقول أرسطو المأثور: «أساس الوحدة هو التنوع»^٧. نحن نعلم مدى تأثير فلسفة أرسطو على فلسفة العرب والمسلمين بشكل عامّ، ومدى أهميّة العودة إليها في لحظة من الهدوء والعمل المشترك للعقل. تتمثّل الحجّة في «التأكيد على أنّ المدينة هي نوع من التعدديّة (πλήθος γὰρ τι) لأنّها تتكوّن من رجال مختلفين (εἶδει διαφερόντων)، وليس من أفراد متشابهين (ἐξ ὁμοίων)، بما أنّ هؤلاء الأفراد يجدون أنفسهم في علاقة مع بعضهم البعض في علاقة تبادليّة لأنهم أشخاص أحرار ومتساوون» (ἐλευθέροις καὶ ἴσοις)^٨. لهذا السبب، حين نأخذ موقفاً يستند إلى الأساسيات التي ذكرتها للتوّ، نؤيد هذا التفكير ذات النزعة الإنسانيّة التي تلتزم بإيمانها بالله وثقتها بالقرب. هذا الفكر يرى الجامعة كمساحة لنموّ الإنسان، كلّ إنسان بفرديّته الخاصّة، يلتمس منّا المشاركة في المعرفة. إنّ الإنسان الذي ندربه وسنواصل تدريبيه وتنشئته هو عقل منفتح، واثق من نفسه، ومن شخصيّته ومهاراته، ولكّنه يدرك أيضاً انتماءه إلى شعب في بلد تضمن دولة القانون وحدته

⁷ *Politiques*, II, 2, 1261 à 10-b 9 ;

⁸ Jean-Marc Narbonne, Le problème de l'unité dans la cité : Platon, Aristote, Proclus, in *Annuaire de l'Ecole pratique des Hautes Etudes*, 127-128, 2018-2019, paragraphe 6.

وقماسكه، دولة يحكمها دستور وقوانين. فكما يعزُّ علينا أن نبني الفرد الحرّ والمسؤول في المئويّة الثانية للكيان اللبناني الكبير، تبقى وحدة اللبنانيين همّنا الأساسي منذ البداية، من خلال العمل على إعطاء السلطات المحليّة الحصّة المعقولة والمرغوبة في إطار نموذج من اللامركزيّة الإداريّة والسياسيّة سيتمّ بناؤها. هذا ليس فقط مشروعاً علمياً أضافته جامعة القديس يوسف اليوم للعمل مع البلديات اللبنانية على هيكليتها الإداريّة ووضع مؤشرات حسن إدارتها، بل هو مشروع رائد وملمس، بالإضافة إلى مشاريع أخرى من أجل بناء لبنان الغد. فعلى مقاعد جامعتنا، يتعرّف الشباب اللبناني على بعضهم البعض، مع بعض المشاكل والتحديات من أجل تشكيل جماعة. مع ذلك يتمكن طلابنا الشباب، طوال سنوات دراستهم، من إقامة علاقات مهنيّة ووديّة وعاطفيّة تلعب دوراً هاماً في تعلّم العيش المشترك اللبناني وتعزيزه. هذا لنؤكّد على أنّه في أي شكل من أشكال السلطة أو النظام السياسي الذي يجب التفكير فيه أو إعادة التفكير فيه في الذكرى المئويّة الثانية لإعلان لبنان الكبير، لا يمكننا أبداً الاستغناء عن مثل هذه المقترحات الأساسيّة المتعلّقة بمستقبل لبنان!

لقد أخذت جامعة القديس يوسف لبنان هذا على عاتقها وليس بلداً آخر، وأصبحت عرابته. إذا كانت الوصيّة الأولى تقول إنّ « لا يكن لك اله غيري»، فإنّ الوصيّة الأولى التي تتناول وجودنا السياسيّ اليوم وغداً هي: أنتم أيّها اللبنانيون لن يكون لكم وطن غير الوطن اللبناني، لذلك عليكم ترسيخ قاعدته الاجتماعيّة والتفكير، لا بل إعادة التفكير في الرابطة السياسيّة والاجتماعيّة للانتماء إلى وطنكم بالأخذ بعين الاعتبار هذه الإصلاحات الأساسيّة التي يجب القيام بها. من هنا، نحن فخورون بكوننا عرفنا كيف نعرّف طالباتنا وطلابنا على روح المواطنة منذ البداية. لقد نقلنا لهم أنّ الإنسان الحرّ تكرّمه مواطنة قائمة على أساس القانون. لطالما نقلنا إليهم تعلّم التناوب في السلطة وأنّ المواطن هو إنسان حرّ يوافق على أن يحكم اليوم ويحكم غداً. إنّ العيش في دولة القانون يعني قبول الانصياع لقوانينها التي يجب إعادة صياغتها من أجل المزيد من العدالة والرفاه لكلّ لبنانيّ. إنّ العيش في ظلّ حكم القانون يعني المشاركة بفعاليّة وبطريقة متناقضة في النضال الديمقراطيّ من أجل السلطة. صحيح أنّ الروح الطائفية والمذهبيّة تسود على مستويي المجتمع والسياسة، إلا أنّ السياسيين يتشبّهون بها، ويستخدمونها من دون وعي ومن دون رادع، وهي تكبح بشكل رهيب تقدّم دولة القانون المدنيّة، لأنّها تفضّل الخصوميّة الضيقة والطائفية بدلاً من أن تتماشى مع سيادة دولة القانون؛ لكن سيادة القانون هذه، في ظلّ المطالب الطائفية التي تحوّلت إلى مجموعات مسلّحة، تبدو أكثر من

أي وقت مضى مطلباً وطنياً لبنانياً إستثنائياً ودائماً. لقد واصلنا تعزيز الروح السياسيّة في جامعتنا، بعيداً عن نضالات القوى الحزبيّة التي يجب ألا يُزعج عملها هدوء مؤسساتنا. من ناحية أخرى، تجدر الإشارة «إلى أنّ الناس يريدون، في الوقت الحاضر، و»بسبب المزاي التي يستمدونها من المنافع العامّة ومن السلطة، أن يتولّوا الحكم باستمرار، كما لو كان هذا دائماً ضمان صحّة لمن يحكمون، وإن كانوا مرضى.» ليس قلّمي هو الذي يكتب هذا الكلام، لكنّه أيضاً أرسطو (إذن يجب أن يحاسب أرسطو عن هذا الرأي) في كتابه عن «المدينة». هو يختم جملته بالقول: «ربّما لهذا السبب ما زلنا نندفع نحو الحكّام». ثمّ يضيف: «من الواضح إذن أنّ جميع الدساتير التي تهدف إلى تحقيق المنفعة العامّة وُجِدت على أنّها أشكال مستقيمة وفقاً للعدالة بالمعنى المطلق، وعلى العكس، تلك التي تهدف فقط إلى مصلحة الحكّام، هي دساتير معيبة، أي أنّها إنحرافات عن الدساتير المستقيمة. إنّهما بالفعل مستبدّتان، لكنّ المدينة هي عبارة عن مجتمع مكوّن من رجال أحرار»⁹. هذا يعني أنّ الدساتير والقوانين يمكنها أن تنحرف من معناها الصحيح لتلبّي المصالح الخاصّة. من كان يظنّ أنّ أرسطو الفيلسوف تنبأ وكان صاحب رؤية لما حلّ بالدستور والحكم في لبنان الذي تفرض إرادة الحاكم تفسيره وتفسير مضمون بعض التشريعات مثل قانون الانتخابات. لقد سبق وأشار العديد من المتخصّصين في هذا المجال بأصابع الاتهام إلى الإخفاقات وقدموا الكثير من الآراء من أجل تعديل أداء المؤسسات¹⁰.

٣. إعادة البناء من أجل ترسيخ لبنان الغد

ما الذي يجب إعادة بنائه؟ بل ما الذي لا يجب إعادة بنائه بما أنّ مدينة بيروت دُمّرت جزئياً وجامعتنا ومستشفانا لم يفلتا من الانفجار. ولأنّنا نتمتّع بالإرادة والقرار بالبناء، نجحنا في استكمال أعمال ترميم مكتبتنا الشرقيّة التي تأسست في العام ١٨٧٥ مع الجامعة، في ١٤ آذار (مارس) الحالي ٢٠٢٢، والتي تضرّرت بشدّة من الانفجار، وهي قيد الإنشاء منذ ذلك التاريخ. بفضل تحالف ثلاثة متبرّعين هم L'Œuvre d'Orient، و«أليف» Aliph (حماية التراث لبناء السلام)، ومؤسسة قطر Qatar Foundation، استطاعت المكتبة، الغنيّة بأعمالها البالغ عددها ٢٥٠ ألف كتاب متخصّص، ومخطوطاتها البالغ

⁹ Aristote, les Politiques, Livre I.

¹⁰ Dr Issam Sleimane, Geneva International Conference 2021, Moderation Pact, to build State and Nation IN Lebanon, Beirut 2021, cf. Arabic segment p. 40.

Inter Minister Platform for Assessment عددها ٤,٥٠٠، ومكتبة الصور الخاصة بها والمكوّنة من ٣٠٠ ألف شريحة، ويعود بعضها إلى القرن التاسع عشر، ومجموعاتها الأسطورية ومكتبة الخرائط الخاصة بها المكوّنة من ٥٠٠٠ قطعة، القديمة منها والحديثة، إستعادت المكتبة ألوانها ووُضعت في خدمة قرائها. كانت إعادة بناء هذا المعلم التراثي الثقافي والفكري اللبناني والشرق أوسطي واجباً أخلاقياً تجاه جيل اليسوعيين الذين أسسوا المكتبة وحافظوا عليها، وهذا يشكل علامة للمقاومة الفكرية في عدم التخلي عن مثل هذه الأداة المهمة للغاية للمتخصصين في لبنان والشرق. إنّ واجب إعادة الإعمار هذا حظي بإعادة تعمير مبنى آخر للجامعة هو متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني الذي يشكل جوهرة أصلية ترصع معرض المتاحف في لبنان. لا أستطيع أن أذكر عمليات إعادة البناء هذه بسبب انفجار مرفأ بيروت من دون أن أذكر بناءً جديداً سيتم تشييده في إحدى أهم أراضى الجامعة التي ما زالت غير مأهولة في قلب بيروت. ففي ٢٥ شباط (فبراير) الماضي، وضع رئيس مجلس الوزراء حجر الأساس الأول BEMA لمتحف الفن المعاصر والحديث في بيروت خلال حفل جمع عشاق الرسم اللبناني. خلال الحفل، تساءلت عما إذا كان الوقت قد حان لإطلاق مثل هذا المشروع الضخم في وقت يعاني فيه الكثير من اللبنانيات واللبنانيين من عبء الأزمة ويرزحون تحت وطأتها. في الواقع، كانت إجابتي أنّه لم يكن من المؤكّد من أنّ الأموال المخصصة لبناء المتحف ستوجّه نحو شيء آخر وأنّ الإعلان عن إنشاء المتحف كان بمثابة رمز لولادة ثانية للبنان الفنون، وللثقافة الإنسانية المقاومة والإبداع، وللقيم التي ساهمت في تكوين الروح اللبنانية عبر العصور. من الواضح أنّ هذه المشاريع، حتّى وإن كانت تحمل إحساساً بالمقاومة الثقافية، تبقى محدودة نظراً إلى ضرورة إعادة بناء مجال آخر أكثر استراتيجية، ألا وهو مجال التعليم المدرسي والتقني والجامعي.

إنّ إعادة بناء نظام التعليم اللبناني ككل هي إحدى المهام التي تقوم بها رابطة الجامعات مجتمعة بشجاعة مع وزارة التربية والتعليم العالي؛ يمكن أن تتفرّع المشكلة من النقاط التالية: (١) الأزمة المدرسية سابقة تمامًا للأزمة المالية وحتّى الوبائية الحالية، بحيث أدّت مطالب هيئة التدريس إلى زعزعة العلامة التجارية لأهم مؤسساتها بشدّة؛ (٢) النتائج الأخيرة للدراسات الدولية TIMSS (هيئة تقويم التعليم والتدريب)، و PIRLS (البرنامج الدولي لتقييم تعلّم في موادّ القراءة والرياضيات والعلوم)، و PISA (البرنامج الدولي لتقييم الطلاب)، أظهرت أنّ التلاميذ اللبنانيين، في بداية ونهاية المرحلة التكميلية، لم يكونوا اليوم على المستوى الدولي واحتلّوا مرتبة في أدنى درجات العلوم والرياضيات بين الدول العربية،

بعدما كانوا من بين الأوائل في الثمانينات من القرن الماضي. (٣) لم يعد التعليم المدرسي يجذب أفضل الخريجين في البكالوريا كما في السابق نظرًا إلى الرواتب المنخفضة المعروضة عليهم وكذلك، نظرًا إلى صورة المعلم المدرّس التي تستمرّ في التدهور. (٤) بدأت جزر التميز الأكاديمي التي تمثلها أفضل المؤسسات تعاني من الآثار المدمرة الناتجة عن الأزمة الحالية، والوباء لم يساعد أجيالًا من التلاميذ على الحصول على المستوى المطلوب، فقد حرمت الأزمة الاقتصادية المدارس من الميزانيات اللازمة للعمل بشكل صحيح. من ناحية التعليم الجامعي، فإنّ الوضع يقترب من الكارثة، (١) فمن ناحية، إنّ تكاثر المؤسسات الجامعية ذات النزعة التجارية والفضائح المتكررة التي طاولت الشهادات المباعة أو المتلاعب بها يُشير إلى الإهمال في نظام الجامعة بأكمله. (٢) تتطلّب دولة الحياة الاقتصادية اللبنانية من المؤسسة الجامعية مبالغ ضخمة من أجل ضمان حدّ أدنى من أداها، لا سيّما أنّ كلفة النفقات العامة بالعملية الصعبة تقدّر بـ ٧٢ في المئة من مصاريفها. (٤) الوعود بمساعدات عن طريق المنح الطلابية، بعد عامي ٢٠ و ٢١ اللتين أمنت أموالاً جيّدة، بقيت نوايا حسنة غير محقّقة بما أنّ بعض الأموال المخصّصة لتعويضات نهاية الخدمة ومنح الطلاب هي مجمّدة في المصارف. (٥) كما أنّ أفضل حاملي شهادة البكالوريا يغادرون نحو الجامعات الفرنسية التي تمارس سياسة جذابة للغاية تجاههم بغية استقطابهم. وكما عانى الطلاب الذين يلتحقون بالجامعة في لبنان من مضارّ الاضطرابات التي سبّتها الوباء والأزمة المالية وانعكاساتها، كذلك الأمر يتعرّض مستوى الدراسات الجامعية للأذى والتحدّي من أجل تنشئة الخريجين الذين يشكّلون فخر لبنان، كما في الأمس. (٧) التخفيضات في الرسوم الدراسية بحوالي ٨٥ في المئة من مبالغها الحقيقية المعتادة وبالتالي، تخفيض الميزانيات المخصّصة للبحث العلمي، بالإضافة إلى الرسوم والنفقات المختلفة الضرورية من أجل تشغيل المؤسسة مثل الوقود وتكنولوجيا المعلومات والاشتراكات في الوثائق الإلكترونية والمنح الدراسية للطلاب، هذه التخفيضات تجعل الجامعة رازحةً تحت ضغط تصعب إدارته، وتضعها في مواجهة حدّة الأزمة من خلال هجرة مكثّفة للمعلّمين والباحثين والعاملين المتخصّصين.

في مواجهة هذا الوضع، ما هي الحلول وما هي خطة التعافي التي يجب صياغتها للخروج بعض الشيء من قساوة الأزمة؟ لقد تمّ تنظيم اجتماعات استشارية وطنية عامّة للتعليم المدرسي والتعليم الجامعي في الأسابيع الأخيرة من أجل إجراء تشخيص وتقديم حلول متوسطة وبعيدة المدى. بالنسبة إلى المستوى الجامعي الذي يهّمنا بشكل مباشر، ماذا نتج عن هذه الاجتماعات؟ يمكنني تلخيص الأفكار في ثلاث مراحل: (١) تتعلّق المرحلة الأولى

بالحوكمة الأكاديمية والإدارية لكل من الجامعات الخاصة الخمسين العاملة والمُعترف بها من قِبَل الدولة اللبنانية؛ يجب تنفيذ هذه الحوكمة وفقًا للقواعد الأكثر تطلُّبًا من قِبَل ضمان الجودة الدولية والمحلية، بدءًا من ضرورة إنشاء مجلس أعلى أو مجلس أمناء لكل جامعة يضمّ شخصيات من خارج الجامعة، كما يضمّ وحدة لضمان الجودة الداخلية من أجل مراقبة مسار الجامعة وتقييمه. (٢) من الضروري إعادة هيكلة حوكمة المديرية الرسمية للتعليم الجامعي في وزارة التربية والتعليم، في البرلمان، من خلال إشراك الجامعات في ذلك ومنحها الموارد البشرية الكفوءة من أجل تلبية احتياجات الجامعات، معربين عن امتناننا وشكرنا إلى معالي الوزير من أجل الجهد الذي يبذله لِيُنْجِز الملفات التي تمّ تجاهل بعضها في الأدراج منذ سنوات. (٣) إنهاء، بشكلٍ قاطع، الخلط بين ما يُسمّى بالجامعات الوطنية والتاريخية ذات النفع العام، بما فيها الجامعة اللبنانية التي قامت وما زالت تقوم بالتعليم العالي في بلدنا وتخرّج مئات الآلاف من المهارات والمؤهلات في بلدنا، والجامعات التي تتّصف بالتجارية والتي تُكثّر من الأمثلة السيئة من دون وجود أي عقوبات حقيقية تُتخذ بشأنها. إذا كان لا بدّ من إجراء تقييم حول جودة الجامعات على النحو الذي اقترحته مؤخرًا مجموعة الدراسات والمقترحات التابعة لليونسكو، فليتمّ إجراؤه بشرط أن تقوم به وكالة محايدة وحرّة تمامًا وأن يتمّ عرض النتائج على الجمهور اللبناني والعربي والدولي. من هنا، فإنّه من الطبيعي اليوم، وبعد التجربة المؤسفة من جرّاء تصاريح البرامج التي فرضها القانون ١٤/٢٨٥ ، تحرير الجامعات التاريخية الحاصلة على اعتمادات معترف بها، من إجراءات الحصول على تصاريح برامج جديدة كما هو الحال بالنسبة إلى الجامعة اللبنانية. يكفي ببساطة إبلاغ مجلس التعليم العالي وتقييم هذه البرامج بعد ثلاث أو خمس سنوات كما يُشير المجلس. (٤) من الملحّ تقديم المساعدة إلى الجامعات خاصّة تلك التي تعتمد فقط على أموالها الخاصة وعلى الأقساط الدراسية التي يدفعها الطلاب، والأمر الأكثر إلحاحًا هو الإفراج عن الأموال المودّعة من قِبَل الجامعات وأولياء الأمور في المصارف اللبنانية، في إطار ما يُسمّى بالدولار الطالب حتى يتسنى للجامعات الاستفادة منها، أقلّه جزئيًا، من أجل مساعدة الطلاب على مواصلة دراساتهم ومساعدة الجامعة للوفاء بمتطلباتها تجاه مواردها البشرية وهيئاتها الدولية. أخيرًا، عقدنا اجتماعًا عامًا بدعوة من الوكالة الجامعية للفرنكوفونية للحديث في القضية والآن الأمر متروك للدول والمنظمات لتكون كريمة في الإفراج عن الأموال من أجل إعطاء الجامعة وشركائها مجددًا أملًا يُخرجنا من الأزمة، وإعادة بناء ما تضرّر ودُمّر!

في هذا السياق، وبما أنّ خطة إنقاذ إقتصادنا والإنسان اللبناني تأخّرت، يجب أن ننظر

عن كُتب في الفرص التي يمكن أن تُتاح لنا في إطار تنويع التزاماتنا. حين نتحدّث عن إعادة البناء، كيف لنا ألاّ نحقّق المطلب المشروع بسنّ تشريعات خاصّة بالقضاء اللبناني والعدالة اللبنانيّة كي تحرّرها نهائيّاً من ديكتاتوريّة الطبقة السياسيّة اللبنانيّة وفسادها، تلك الطبقة المرتبطة بشركائها في المجال الاقتصاديّ والماليّ والإعلاميّ! لقد ضاعفت كُليّة الحقوق والعلوم السياسيّة في جامعتنا من الندوات والتفكير في هذه الإشكاليّة التي تكمن في صميم ولادة دولة لبنان الكبير في ذكرى مئويّته الثانية! لقد بدت استنتاجاتها، بصوت عميدتها، واضحة ومباشرة وهي: ضرورة تحقيق العدالة للجميع، بما فيها مواجهة الطبقة السياسيّة؛ لكنّ هذه الضرورة تلاشت وكادت تختفي وكأنّ البلد يبقى ويزدهر من دون ضرورة تحقيق العدالة لمن ينتهكها!^{١١} وكذلك الأمر، فإنّ هذه العدالة، على الرغم من وجود قضاة نزيهين ومستقلّين، يسيرها أناس مرتهنون لهذا الحزب السياسيّ أو ذاك، ممّا يعني أنّها لا تتمتّع بالحرية لتكون فاعلة وتصدر أحكامها! العدالة من دون استقلال وحياد، ومن دون المقدرة على ملاحقة القاتل والمذنب، تصبح غير ذات أهميّة وتطلق العنان للإفلات من العقاب. إنّ أولئك الذين يؤمنون بهذا الاستقلال ويريدون محاربة الإفلات من العقاب كانوا قد تقدّموا بمشروع قانون في مجلس النواب لم يرَ النور بحجّة أنّ هذا القانون لم يبلغ النضج المطلوب. من لم يبلغ النضج؟ القانون أم الطبقة السياسيّة؟ ومع ذلك، فإنّ ثورة ١٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) تدرك أنّه من الملحّ اليوم إرساء دولة القانون لمحاربة تضارب المصالح، والفساد، والتواطؤ الطبقيّ بين السياسيّين ورجال الميليشيات والمصرفيّين ووسائل الإعلام، وبعض من السلطة القضائيّة. إنّ إعادة بناء العدالة هو حجر الزاوية في تثبيت سيادة دولة القانون هذه وإرسائها لصالح الشعب اللبنانيّ.

حين نتكلّم عن العدالة، دعونا نقول كلمة عن الإدارة العامّة التي تحدّثنا عنها كثيرًا من قبل من على هذا المنبر. إنّها تتطلّب منّا أيضًا القيام بالكثير من أعمال الترميم في ضوء حالة الانهيار التي وصلت إليها، حيث هدّدها الوباء بالموت. وفي هذا السياق، أودّ أن أحيي جميع مبادرات التوعية التي قام بها مرصد الوظيفة العامّة والحكم الرشيد الذي يهدف إلى الإسهام في هذا الإنعاش المُرتجى والمُرجوب من إدارة الدولة اللبنانيّة. هناك مبادرة مباشرة أخرى بقيادة مجموعة (Inter Minister Platform IMPACT USJ)

^{١١} مستند قُدّم خلال اللقاء مع أمين سرّ الكرسيّ الرسوليّ للعلاقات بين الدول في الفاتيكان المونسنيور غالاغير، في الأوّل من شباط (فبراير) ٢٠٢٢.

for Assessment Coordination and Tracking) منصّة البلديات المشتركة للتقييم والتنسيق والمتابعة) بالتعاون مع منسّق الأمم المتّحدة في بيروت، ومدير البنك الدولي، والسفارة البريطانيّة، وهيئة التفتيش المركزيّة، ووزير الشؤون الاجتماعيّة والصّحة. أحد أهداف IMPACT، بدعم من منظّمة SIREN غير الحكوميّة هو، من بين أهداف أخرى، تعريف طُلّابنا الشباب بكيفيّة الاندماج في القطاع العام. أودّ أن تكون مساهمتنا في بناء هذا العمل الرائع المتمثّل في إعادة بناء الإدارة العامّة منهجيّة ومصمّمة أخلاقياً لأنّ عمل الإدارة فيه جانب تكريسيّ كهنوتيّ تمّ الالتزام به في وقت من الأوقات على مستوى الإدارة وسيتوجّب اليوم استعادته وتعزيزه مع أشخاص كرّسوا حياتهم في إدارة أزمت القرن العشرين.

بقي أن نقول كلمة عن مَعْلَمٍ سيُعَاد بناؤه، وهو مبنى النظام الصّحيّ اللبناني الذي يعمل بصعوبة، بالنظر إلى «الدولة» في جزء من العلاجات الطّبيّة، وبسبب انهيار وكالات التّأمين العموميّة، تاركَةً مئات الآلاف من الأشخاص من دون تغطية إجتماعيّة. في هذا السياق، يحتفل مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» Hôtel-Dieu de France الجامعيّ بمرور مائة عام على تأسيسه خلال عام سيستغرق ١٣ شهراً فيبدأ في ٢ أيّار (مايو) ٢٠٢٢، وهو تاريخ وضع أوّل حجر أساس من قِبَل الجنرال الفرنسيّ غورو Gouraud وينتهي في ٢٧ أيّار (مايو) ٢٠٢٣، تاريخ افتتاحه من قِبَل الجنرال ويغان Weygand. لقد تمّ بالفعل وضع برامج العديد من المناسبات الاجتماعيّة، والأكاديميّة والطّبيّة العلميّة. لا يساورنا شكّ في أنّ مختلف الفرق الإداريّة، والتمريضيّة والطّبيّة التابعة لمستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» والتي تستقبل حوالي ٢٠ في المائة من المرضى اللبنانيين وغير اللبنانيين، ستعرف كيفيّة المشاركة في أعمال إعادة بناء هذا المجال الحيويّ الذي كان يُدعى سابقاً مستشفى الشرق الأدنى. إنّها لفرصة بالنسبة إلى رئيس الجامعة لصياغة كلمة شكر تجاه مئات اليسوعيّين، والراهبات، والأطباء، والإداريّين، والممرّضات ومقدّمي العناية الصحيّة الذين كرّسوا أنفسهم لخدمة المستشفى وصنعوا اسمه؛ أودّ أيضاً أن أثني على أعضاء الفرق الحاليّة وأعبر لها عن امتناني، فهم أبطال الأزمات الذين عالجوا آلاف الجرحى الذين أُصيبوا من جرّاء الاحتجاجات خلال المظاهرات، وانفجار مرفأ بيروت، وجائحة كورونا.

الخاتمة (الخواتيم)

أ. المقاومة، والمواجهة، وإعادة التفكير الفرديّ والجماعيّ، وإعادة بلسمه الجراح النفسيّة، والتجّدّد وإعادة البناء من أجل العيش بسعادة في بيتنا اللبناني، هناك ثلاثة أو أربعة

مصطلحات لا تنفصل عن بعضها البعض من أجل إعادة إحياء مؤسساتنا ودولتنا. أي موعد نهائيّ لتجديد تصوّراتنا يساهم في تجديد رؤيتنا للعيش معًا. في أحد المعالم الهامة للآداب اليونانية وهو تاريخ الحرب البيلوبونيسية، نقل ثوسيديدس Thucydide عن بريكليس Péricleس قوله هذا : « في الواقع لا أحد غيرنا يعتقد أنّ الإنسان غير المنخرط في السياسة يستحقّ أن يكون مواطنًا مسالمًا، ولكنّه مواطن عديم الفائدة. نندخل جميعًا بشكلٍ شخصي في حكومة المدينة على الأقلّ من خلال تصويتنا أو حتّى من خلال تقديم اقتراحاتنا.» تبقى كلمات بريكليس كلماتنا، حيث أحتّ شبابنا على الانخراط في الحياة العامة، ليس كمجموعات متغلقة على هويّتها أو طائفاتها، ولكن كمواطنين أفراد يتشاركون قنوات مشتركة مع الآخرين. لا تقبلوا أن يفكر أحد مكانكم. ارفضوا أي منطق توتاليتاريّ. ارفضوا، باسم كرامتكم، أي استحواذ قاتل لحريّتكم. لكن، قبل كلّ شيء، احذروا من أي إيديولوجيّة لا تقوم على أساس إنسانيّ، فهي تفتح الباب أمام المحسوبيّة الزبائنيّة والتبعيّة. إنّها عدوّ الحرية الإنسانية، ولهذا فهي قادرة على جعل أي مجال ينحرف عن مساره. لقد إهتمّت جامعة القديس يوسف بشكلٍ خاصّ، بفضل كليّة الحقوق، بنشر العدد الخاصّ ٩٣ من مجلّة *Travaux et Jours* حول قانون الانتخابات المعنيّ بعيوبه ونواقصه لنقول إنّنا مدركون لحدوده. إلا أنّ هذا الأمر لا يمنعنا من التمتّع بحقّ التصويت وفقًا لوعينا الوطنيّ الذي يرغب في وجود بلدنا كما أردناه في العام ١٩٢٠. التصويت هو جزء لا يتجزأ من واجبات المواطن لدرجة أنّ بعض البلدان، مثل بلجيكا وأستراليا، تفرض غرامة على أولئك الذين لا يشاركون في الاقتراع العامّ. في هذا الإطار، كيف لا نقدر الدور الاقتصاديّ الذي يؤدّيه الانتشار اللبناني من أجل مساعدة لبنان الجغرافي. إنّ دور إقتصاديّ يسعى أيضًا إلى الارتقاء بلبنان إلى مرتبة الدول الحديثة والديمقراطيّة التي تضمن رفاه شعوبها وتحفظ كرامتها من الدّل!

ب. من أجل ترسيخ مكانتنا بشكل أفضل كجامعة في لبنان ومن أجل لبنان، ومنحها الوسائل للمقاومة ومواصلة مهمّتها، أنشأت جامعة القديس يوسف مؤخرًا مجلسًا أعلى، أو باللغة الأميركية الشائعة مجلس أمناء مزوّد بسلطة تداوليّة، حيث إنّ جزء لا يتجزأ من الجامعة وحوكمتها، فيتولّى دور الدعم والمرافقة والتدقيق واتّخاذ القرار في بعض المجالات، وخاصّة في المجالات الأخلاقيّة، والإداريّة، والماليّة، والاقتصاديّة.

ج. نعم، إنّ الرهبنة اليسوعيّة تحرّك جامعتنا، أي التربية الإغناطيّة المستوحاة من رؤية مسيحيّة للعالم والإنسان. لكن هذه الرؤية بعيدة كلّ البعد عن كونها تقليديّة أو مجرد

رؤية مدوّنة في الكتب. إنّها تُخفي ديناميكيّة تطوّر دائم. تظهر قيمتها التكيّفيّة اليوم بوضوح مع الثورة التكنولوجيّة التي نشهدها. يمكن أن تساعدنا الروبوتات وعلوم البيانات والذكاء الاصطناعيّ بشكلٍ كبير في الحياة اليوميّة وفي التربية أيضًا. لقد إختارت جامعة القدّيس يوسف بحزم مسار التقدّم التكنولوجيّ من خلال البرامج الرقميّة الجديدة على الرغم من الدمار الذي لحق ببلدنا. تنطوي كلّ تكنولوجيا على مخاطر الانزلاق. إذا كان هناك مجال يمكن فيه للذكاء الاصطناعيّ أن يساعد الإنسان فهو بالتأكيد في الطبّ والتخصّصات الاجتماعيّة الطبيّة وفي العلوم الاقتصاديّة والإداريّة أيضًا. إذا كان هناك مجال واحد ينطوي فيه الذكاء الاصطناعيّ على مخاطر على الإنسان، فهو بالتأكيد في مجال المراقبة البوليسيّة للسكّان. سيكون على الأجيال الشابّة أن تبقى يقظة سياسيًا في مواجهة أي انجراف يهدّد الحريّات. ومع ذلك، نحن سعداء للغاية لاختيار شركة دوليّة مثل CMA CGM التي لها وجود قويّ في بيروت، لإدارة حركة الشحن في مرفأ بيروت ولأنّها خطّطت لتنفيذ الحوكمة الإلكترونيّة لهذا المرفأ من أجل استعادة أيّام مجده وبالتالي تطوير نموذج حوكمة الكترونيّة صالح للإدارة اللبنانيّة بأكملها.

أصدقاءنا، سيّداي وسادتي الأعزّاء،

لولا مدينتيّ بيروت والقاهرة، وديناميتيّهما في القرن التاسع عشر، ومن دون ولادة جامعة القديس يوسف في بيروت والجامعة الأميركية في بيروت، لما استطاعت النهضة العربيّة أن تصل إلى النتائج السعيدة المتوخّاة، بما في ذلك المعرفة للجميع، والدولة الحديثة والمواطنة للجميع. لقد لعبنا دوراً رائداً في هذه النهضة التي استطاعت أن تُفّرز إنساناً جديداً إلاّ أنّه فشل في تغيير المجتمع من العمق، واستطاع أن يفرض نفسه عليها. أدعو شبابنا للقيام بنهضة جديدة، بثورة ثقافيّة أصيلة من شأنها أن تحرّر الفرد من الانتماء الجماعيّ التقليديّ المنغلق على نفسه وتجعله فخوراً بمواطنته وباني مجتمعه الوطنيّ بمختلف أشكاله. نعم، إنّهُ خطابي، خطاب طوباويّ ولكنّه لا ينتمي إلى عالم الخيال ! ومن كان ليقول إنّ حياة الأوطان يمكن أن تتحقّق من دون أحلام. لبنان المواطنين المتساوين والإخوة الذين يحميمهم القانون نفسه هو مشروعنا للغد.

في الختام، ألفت مرّة أخرى إلى شبابنا، شباب الجامعة وإلى شباب البلد، كما أتوجّه إلى البالغين، وأودّ أن أقول لهم : مرّة أخرى احذروا الخطاب التوتاليّتاريّ. فهو في الظاهر يبدو مطمئناً لأنّه يوحي لكم أنّ هناك من يعتني بتلبية احتياجاتكم حتّى قبل أن تعبّروا عنها. اهربوا من الشعبويّة. إنّها ليست حتّى بالأيديولوجيّة. إنّها فخّ شيطانيّ يمنعكم من أن تكونوا كما أنتم. فلنحافظ على لبنان وهويّته المتجدّرة في أرضه مثل أرزّه الذي يبلغ من العمر ألفي عام. فعلى هذه الأرض، اختار اليسوعيّون، الذين يحتفلون بالذكرى الـ ٥٠٠ لجرّح المحبّة الذي أصاب القديس إغناطيوس، أن يستقرّوا في هذه البلاد ليمنحوا هذه الأرض شهداء مثل خرّيج جامعتنا السابق الأب نيكولاس كلوترز Nicholas kluiters الذي تمّ حديثاً فتح ملفّ دعوى تطويبه في بيروت والفاتيكان. أعزّائي الشباب، الوطن كلّهُ يرى فيكم أمل الغد. لبنان الغد هو أنتم. لا تبيعوه من أجل مصالح خارجيّة أو من أجل شهوة السلطة. لقد نقلنا إليكم ما تلقّيناه. اعرّفوا كيفيّة الاستفادة منه بشكلٍ جيّد من أجل الصالح العامّ للجميع.

أصدقاائي الأعزّاء، الأزمة تجعلنا غير مرتاحين، وتُغرق الكثير من الناس في الخوف، وتخلق طاقاتنا، وتجعلنا نفقد الثقة، خاصّة في قادتنا السياسيّين غير القادرين على إيجاد الحلول الصحيحة أو إذا وجدوا أيّاً منها فهو لكي يسيطروا على الآخرين. في هذا العام ٢٠٢٢، العام الـ ١٤٧ لوجود جامعة القديس يوسف، وقبل ثلاث سنوات من الذكرى الـ ١٥٠، نرى جامعة القديس يوسف قوّة أكاديميّة واجتماعيّة مندفعّة نحو المستقبل من أجل

المساهمة في إعادة إعمار بلدنا، وقوة رجاء بأن لبنان هذا مدعو أكثر من البلدان الأخرى لأن يعيش ويُترجم إلى الأفعال، إلى قيم العيش معاً، والحرية المسؤولة، والديمقراطية، واحترام الدولة وقوانينها، والعدالة للجميع، والإيمان بالله وبقدراتنا الإبداعية. أختتم كلمتي بهذه الشهادة التي أدلى بها سيادة المطران غولنيس Gollnisch، المدير العام لجمعية عمل الشرق *L'Œuvre d'Orient* : «جامعة القديس يوسف هي واحدة من أهم الجامعات في لبنان، لا بل في الشرق الأوسط ؛ من خلال طلابها وقدامى طلابها ومعلميها، تشكّل قوّة دافعة أساسية للحياة اللبنانية الاقتصادية، والثقافية، وللعلاقات بين الأديان. بكل بساطة، بما أنّها تضررت بشدّة من الانفجار الذي وقع في مرفأ بيروت، ومن خلال الأزمات المتلاحقة، فهي تستحق المساعدة لتبقى جامعة القديس يوسف^{١٢}. الشهادة الثانية أدلى بها الصحفي والمفكر الكبير جورج نقاش الذي قال : «هنا، في جامعة القديس يوسف، تمّت تنشئة مئات الرجال من المحامين والعلماء والمهندسين والأطباء الذين قاموا، في ثلاثة أجيال، بإعادة تكوين لبنان لجعله دولة ووطنًا... في كلّ مرّة يتمّ فيها إنشاء مستشفى أو بناء جسر، وفي كلّ مرّة يتحقّق فيه إنجاز عمل جديد، في مكان ما في لبنان، ونشهد على قيام الأعمال خيرية، وإرساء العدالة، ووتأمين الصحة، تتّجه أفكارنا نحو هذا البيت، ونعبّر له عن امتناننا، هذا المنزل الحاوي للجميع ألا وهو جامعة القديس يوسف...»^{١٣}

^{١٢} المونسنيور باسكال غولنيس، شهادة بُنّت من خلال الفيديو بمناسبة افتتاح إعادة ترميم المكتبة الشرقية في ١٥ آذار (مارس) ٢٠٢٢.

^{١٣} Georges NACCACHE, *Editorial de L'Orient*. Beyrouth, 30 avril 1950.